المورد

مجلة تراثية فصلية
تصدرها وزارة الثقافة والاعلام - دار الشؤون الثقافية العامة
الجمهورية العراقية

المجلد الخامس عشر - العدد الثاني ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م

٢

WWW.ATTAWEEL.COM

أسد الدين محمد

كتاب الأشباه والنظائر المنسوب إلى الثعالبي

الدكتور
حسن صالح الضامن
كلية الآداب ـ جامعة بغداد

بسم الله الرحمن الرحيم

من الكتب التي صدرت اخيراً في بيروت كتاب (الأشباه والنظائر) تأليف الثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩هـ ، وتحقيق محمد المصري .

ولم يكن بين يدي الاستاذ محمد المصري ، وهو يحقق الكتاب ، إلا اصل واحد من مخطوطات مكتبة ولي الدين باستانبول ، وهو اصل يرقى تاريخ نسخه الى القرن الثاني عشر الهجري ؛ وعليه ختم مؤرخ في سنة ١١٧٥هـ .

وكنت قد صوّرت هذه المخطوطة قبل سنين وثبت عندي بما لا يقبل الشك انها لابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧هـ ، وهي اختصار لكتابه الكبير الموسوم بـ (نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر)(*) .

وفي عام ١٩٧٩ صدر كتاب لابن الجوزي عنوانه (منتخب قرّة العيون النواظر في الوجوه والنظائر)(**) .

وعند مقابلة هذا المنتخب بكتاب (الأشباه والنظائر) ثبت انهما كتاب واحد وصحّ ما ذهبنا اليه وهو انّه لابن الجوزي وليس للثعالبي .

ويظهر انّ الاستاذ محمد المصري طبع الكتاب وهو واثق بما جاء في صفحة العنوان ومقدمة الكتاب المقحمة عليه من نسبته الى الثعالبي ، فقد جاء في مقدمته للكتاب تحت عنوان (من مؤلف كتاب الأشباه والنظائر ؟) :

جاء في مستهل مخطوطة هذا الكتاب مايلي : (قال وحيد دهره وفريد عصره راس النبلاء ، وتاج الفضلاء الثعالبي ؛ قدّس سره ، وعلىّ ذكره ...) .

لم يذكر اذن اسم مصنفه ولا كنيته ولا اي امر آخر نهتدي به الى معرفة اي ثعالبي هو ، والثعالبة كثر .

(*) طبع هذا الكتاب مرتين : الاولى في حيدر آباد ـ الهند سنة ١٩٧٠ ، والثانية في بيروت سنة ١٩٨٠ بتحقيق محمد عبدالكريم .

(**) حققه محمد السيد الصفطاوي ود . فؤاد عبدالمنعم احمد ، وطبع في الاسكندرية طبعة رديئة تزخر بالاخطاء.

WWW.ATTAWEIL.COM

وعلى هذا سنحاول البحث عن هذا الثعالبي ونتلقف إشارات وملاحظات قد ترشدنا إليه ، ولعلنا نفلح في ذلك .

إنّ في الكتاب ما يرشدنا الى انّ مؤلفه من رجال القرن الرابع الهجري ، إذ جاء فيه : (سمعت القطّان يقول : سمعت ثعلباً ...) . والمعروف انّ ثعلبا احمد بن يحيى توفي سنة ٢٩١هـ . فليس بين هذا الثعالبي وثعلب إلاّ راوٍ واحد فقط .

وعرفنا من قراءة الكتاب انّ له شيخا اسمه (علي بن عبيد الله) . ولعلنا لا نجانب الصواب إنْ زعمنا أن علي بن عبيد الله هذا هو من رجال القرن الرابع الهجري ، وإذا رجعنا الى معجم الادباء لياقوت الحموي وجدناه يذكر اثنين من العلماء بهذا الاسم : احدهما يعرف بالدقاق وبالدقيقي ، توفي سنة ٤١٥هـ ، وهو نحوي عروضي اخذ عن ابي علي الفارسي والسيرافي والرمّاني ، وتخرج به خلق كثير . والثاني يعرف بالسمسمي ، توفي سنة ٤١٥هـ ايضا . وهو ايضا عالم جيد المعرفة بعلم العربية ، صحيح الخط غاية في اتقان الضبط ، قرأ على ابي علي الفارسي وابي سعيد السيرافي ، ثقة . ولعلهما اسمان لعالم واحد .

نضيف الى ذلك امورا اخرى تثبت انّ مصنفه من علماء القرن الرابع الهجري ، منها :

١ ـ اسلوب المصنف وطريقته .

٢ ـ اعتماده شواهد الشعر الذي يحتج به قدامى المصنفين كشعر ذي الرمة وجرير ورؤبة وغيرهم .

٣ ـ موضوع الكتاب .

٤ ـ اعتماده اقوال وآراء اعلم علماء اللغة في القرنين الثالث والرابع الهجريين ... وليس فيه نقول او آراء لعلماء متاخرين البتة .

وعلى هذا سنغض الطرف عن اي ثعالبي عاش قبل القرن الرابع الهجري وبعد منتصف القرن الخامس الهجري ، لنجد ثلاثة ثعالبة عاشوا في القرن الرابع الهجري ومطلع الخامس هم :

١ ـ احمد بن محمد ، المتوفى سنة ٤٢٧هـ ، ويقال له : الثعالبي ايضا ، وهو مفسر ، مقرىء ، واعظ ، اديب ، وهو صاحب كتاب (عرائس المجالس) في قصص الأنبياء .

٢ ـ الحسين بن محمد الذي كان حيا قبل سنة ٤٢١هـ ، وهو مؤرخ ، من آثاره : الغرر في سير الملوك واخبارهم .

٣ ـ عبدالملك بن محمد ، ابو منصور ، المتوفى سنة ٤٢٩هـ ، وهو العلم الفذّ ، صاحب المؤلفات الجمة ، من أشهرها : يتيمة الدهر ، فقه اللغة ....

امّا الاول فيغلب عليه التفسير والقراءة والوعظ ، وقليل التصانيف .

وامّا الثاني فمؤرخ ، وليس له إلاّ كتاب واحد في التاريخ .

وامّا ثالثهم فهو احد علماء عصره الافذاذ ..

فلعلنا لا نعدو الصواب إن قرّرنا انّ ابا منصور عبدالملك بن محمد هو مصنّف هذا الكتاب الذي بين ايدينا ، وروحه تشيع بين سطوره ، ونفسه يعبق خلل عباراته .

وإن لم يذكر من ترجموا لابي منصور هذا الكتاب بين مصنفاته فلا ضير ، ولطالما حدث مثل هذا ، فضلا عن انّهم لم يذكروا هذا الكتاب البتة. فلم ينسب لأحد غيره .

يضاف الى كل ما تقدّم انّ في الكتاب عبارات وشواهد اوردها في كتابه الشهير (فقه اللغة) .

وقد نقبت في كثير من كتب ابي منصور فلم اعثر له على ذكر . انتهى كلام المحقّق .

اقول : ولنا على هذه المقدمة ملاحظات نجملها في النقاط الآتية :

اولا ـ جانب المحقق الصواب حينما ذهب الى انّ مؤلف الكتاب من رجال القرن الرابع الهجري معتمداً على ما جاء في الكتاب : (القطّان يقول : سمعت ثعلبا ...) متوهما انّ الذي سمع القطان هو الثعالبي .

والقطّان هو ابو الحسن علي بن ابراهيم المتوفى سنة ٣٤٥هـ وهو شيخ ابن فارس المتوفى سنة ٣٩٥هـ . (معجم الادباء ٢١٨/١٢ ، طبقات المفسرين ٣٨٢/١) .

ولو رجعنا الى النص في الصفحة السادسة والاربعين بعد المئتين (المحصنات) لرأينا انّ الذي سمع القطان هو احمد بن فارس ففيه : قال ابن فارس : وذكر ناسٌ انه سُمي حصاناً لانّه ضَنّ (كذا) بمائه فلم ينزُ (كذا) إلاّ على كريمة ، ثم كثر ذلك حتى سموا كلّ ذكر من الخيل حصاناً . ويقال : امراة حَصان بيّنة الحصانة . والحَصِين (كذا) وفرس حصان : بيّن التحصين (كذا) . وسمعتُ القطّان يقول : سمعت ثعلباً يقول : كل امراة عفيفة فهي مُحْصَنَة ومُحْصِنَة ، وكلّ امراة متزوجةٌ فهي مُحْصَنَة لا غير .

فالكلام متصل ، ودليل آخر يدحض زعم المحقق هو انّ هذا النص جاء برمّته في كتاب ابن فارس الموسوم بـ (مجمل اللغة) في الصفحة السابعة والثلاثين بعد المئتين ، قال : (ذكر ناس انّه سُمي حِصانٌ لانّه ضَنّ بمائه فلم يَنزُ إلاّ على كريمة ، ثم كثر ذلك حتى سمّوا كلّ ذكر من الخيل حِصاناً . ويقالُ : امراة حَصان بيّنة الحَصانة والحَصَن . وفرس حصان بيّن التحصُن ... وسمعتُ القطّانَ يقول : سمعت ثعلباً يقول : كلّ امراة عفيفة فهي مُحْصَنَة ومُحْصِنة ، وكلّ امراة متزوجة فهي مُحْصَنَة لا غير) .

ثانياً ـ ذهب المحقق إلى انّ للمؤلف شيخاً اسمه (علي بن عبيد الله) وأنّه من رجال القرن الرابع الهجري وربما كان هذا الشيخ الدقاق او الدقيقي المتوفى سنة ٤١٥هـ او انّه السمسمي المتوفى سنة ٤١٥هـ ايضاً ثم قال : ولعلهما اسمان لمالم واحد .

واقول : هنا ايضاً جانب المحقق الصواب ، فعلي بن عبيد الله هذا هو شيخ ابن الجوزي ويسمى ابن الزاغوني ، وهو من أهل بغداد ، فقيه ، من اعيان الحنابلة ، توفي سنة ٥٢٧هـ (المنتظم ١٠/٣٢ ، المشيخة ٨٧ ، اللباب ٢/٥٣ ؛ الذيل على طبقات الحنابلة ١/٢١٦) .

وقد جاء اسمه مرتين في الكتاب : الاولى في الصفحة المتممة للمئتين عند شرح (الظلمات) قال شيخنا علي بن عبيد الله : الاصل في الظلمات اسوداد الليل ، فإنّه إذا عدمت الانوار اسود الافق بتكانيف (كذا) الهواء الزائد (كذا) .

وجاء هذا القول في كتابي ابن الجوزي المنشورين ، وهما : نزهة الاعين النواظر في الصفحة الثالثة والعشرين بعد الاربعمائة ومنتخب قرة العيون النواظر في الصفحة الحادية والسبعين بعد المئة .

قال ابن الجوزي في الكتاب الاول في باب الظلمات :

(الظلمات جمع ظلمة . قال شيخنا علي بن عبيد الله : والاصل في الظلمة اسوداد الليل ، فإنّه إذا عدم نور النهار وغيره من الانوار اسودّ الافق بتكاثف الهواء الراكد) .

وقال في الكتاب الثاني ، وهو المنتخب ، في باب الظلمات :

(قال شيخنا علي بن عبيد الله : الاصل في الظلمة اسوداد الليل ، فإنّه إذا عدمت الانوار اسودّ الافق بتكاثف الهواء الراكد) .

امّا المرة الثانية فقد جاء في الصفحة الثامنة والخمسين بعد المئتين عند شرح (النور) :

(قال شيخنا علي بن عبيد الله : النور : الضياء المشمشع (كذا) الذي تنفذه انوار الابصار فتصل به الى نظر المبصرات) .

وجاء هذا القول في كتابي ابن الجوزي المنشورين ايضاً . قال ابن الجوزي في الصفحة التاسعة والتسعين بعد الخمسمئة في باب النور من كتاب نزهة الاعين النواظر :

(قال شيخنا علي بن عبيد الله : النور هو الضياء المتشمشع الذي تنفذه انوار الابصار فتصل به الى نظر المبصرات) .

وقال في الصفحة التاسعة والعشرين بعد المئتين في باب النور من كتاب منتخب قرة العيون النواظر :

(قال شيخنا علي بن عبيد الله : النور الضياء المتشمشع الذي تنفذه انوار الابصار فتصل به الى نظر المبصرات) .

ولابد ان نشير هنا الى انّ ابن الجوزي اعتمد كثيراً على شيخه علي بن عبيد الله في كتابه نزهة الاعين النواظر لانّه الّف كتاباً في الوجوه والنظائر . قال ابن الجوزي في مقدمة هذا الكتاب: (وممن الّف كتب الوجوه والنظائر الكلبي ومقاتل ابن سليمان وابو الفضل العباس بن الفضل

الأنصاري . وروى مطروح بن محمد بن شاكر عن عبدالله بن هارون الحجازي عن ابيه كتاباً في الوجوه والنظائر ، وابو بكر بن محمد بن الحسن النقاش، وابو عبدالله الحسين بن محمد الدامغاني ، وابو علي البناء من اصحابنا ، وشيخنا ابو الحسن علي بن عبيد الله بن الزاغوني . ولا اعلم احداً جمع الوجوه والنظائر سوى هؤلاء) .

ثالثا ـ اضاف المحقق الى ما سبق اموراً اخرى زعم انّها تثبت انّ مصنفه من علماء القرن الرابع الهجري وهي : اسلوب المصنف وطريقته ، وموضوع الكتاب ، واعتماده شواهد الشعر الذي يحتج به قدامى المصنفين كشعر ذي الرمة وجرير ورؤبة وغيرهم ، واعتماده اقوال وآراء اعلم علماء اللغة في القرنين الثالث والرابع الهجريين ، وليس فيه نقول او آراء لعلماء متاخرين البتة .

واقول : ليس في اسلوب الكتاب ما يثبت انّ مصنفه من علماء القرن الرابع ، ومنهج الكتاب ومادته بعيدة عما هو مألوف من نشاط الثعالبي في ميدان التاليف . وفي الكتاب آراء واقوال لعلماء متأخرين جعلهم المؤلف من القرنين الثالث والرابع، من هؤلاء :

(١) علي بن عبيد الله بن الزاغوني المتوفى سنة ٥٢٧هـ كما سلف .

(٢) القاضي ابو يعلى : ترجم له المؤلف في الصفحة السابعة والخمسين بعد المئة بقوله :

(هو احمد بن علي بن المثنى التميمي ، حافظ ، من علماء الحديث ، ثقة ، مشهور ، عمّر طويلا ، توفي بالموصل سنة ٣٠٧هـ . وله من المصنفات : المعجم في الحديث ، مسندان : صغير وكبير) .

والصواب : انّ القاضي ابا يعلى هو محمد ابن الحسين بن خلف بن الفرّاء ، شيخ الحنابلة ، ولاّه القائم بأمر الله قضاء دار الخلافة والحريم ، وحران وحلوان ، توفي سنة ٤٥٨هـ . (تاريخ بغداد ٢٥٦/٢ ، طبقات الحنابلة ١٩٢/٢ ، الوافي بالوفيات ٧/٣ ...) .

وفات المحقق ايضا انّ الذي ترجم له ليس قاضياً .

(٣) ابو زكريا : وهم المؤلف فظنّه ابا زكريا الفرّاء يحيى بن زياد المتوفى سنة ٢٠٧هـ . قال في ترجمته في الصفحتين الخامسة والسادسة بعد المئتين : (الفرّاء : مرت ترجمته ص ٥٣) .

والصواب : ابو زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي المتوفى سنة ٥٠٢هـ . نقل عنه ابن الجوزي كثيراً في كتابه : نزهة الاعين النواظر ، وذكره باسمه الكامل اول مرة في الصفحة الثانية بعد المئة ، قال في باب (إلى) : (قال ابو زكريا يحيى بن علي التبريزي : وهي للغاية في المكان وغير ذلك ، تقول : سرتُ من البصرة الى الكوفة ، وانتظرته الى آخر النهار ، فكأنّها مقابلة لـ (من) ومراسلة لها ، لأنّ تلك للابتداء و (إلى) للانتهاء. وإذا قلت : سرتُ من البصرة إلى الكوفة ، فجائز ان تكون قد دخلتها ، وان تكون قد وصلت إليها ولم تدخلها . فمما جاء في التنزيل ، وقد دخل الحدّ في المحدود قوله تعالى : « وايديكم الى المرافق »، فالمرافق داخلة في الغسل الواجب . ومما جاء ولم يدخل الحدّ في المحدود قوله : « ثمّ اتموا الصيام الى الليل » ، فالليل غير داخل في وجوب الصوم) .

وجاء في الاشباه والنظائر ، في الصفحة الثانية والخمسين في باب (إلى) : (هي حرف موضوع لانتهاء الغاية . تقول : سرت من البصرة إلى الكوفة ، وانتظرته الى آخر النهار ، فكأنّه مقابل لـ (من) ومزامل (كذا) لها لأنّ (من) للابتداء و (إلى) للانتهاء . وإذا قلتَ : سرت من البصرة الى الكوفة فجائز انْ تكون قد دخلتها ؛ وانْ تكون قد وصلت اليها ولم تدخلها . فمن دخول الحد في المحدود قوله تعالى : « فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق » ، ومما لم يدخل قوله تعالى : « ثم اتموا الصيام الى الليل » .

واكتفى ابن الجوزي بكنية التبريزي وهي (ابو زكريا) في المواضع الاخرى من كتابه نزهة الأعين النواظر في الصفحات ١٠٨ ، ١٢٣ ، ٢٠٨ ، ٣٠١ ، ٤٧٥ ، ٥١١ ، ٥٦٥ .

رابعا ـ زعم المحقق انّ في الكتاب عبارات وشواهد اوردها الثعالبي في كتابه : (فقه اللغة) . ينظر : باب الواو من الأشباه والنظائر .

الأشباه والنظائر

في الألفاظ القرآنية التي ترادفت مبانيها وتنوعت معانيها

تأليف

عبد الملك بن محمد الثعالبي

المتوفى ٤٢٩ هـ

تحقيق

محمد المصري

عالم الكتب
بيروت

مكتبة المتنبي
القاهرة

WWW.ATTAWEEL.COM